أسرار اردنية تنشر لاول مرة

لماذا رفض الاردن المعونة العربية ثم قبلها

كيف حُرِمَ الملك حسين من عشر سيارات كاديلاك

الاطباء يقولون ان الملك حسين مصاب بازدواج الشخصية، وانصار القومية العربية يقولون انه خضع لاغراءات اميركا، والنفر القليل من انصاره يصفونه بالحرص على تأمين الاستقرار السياسي لبلاده ..

اما هو .. هو نفسه الملك حسين ، فانه يعلن في زهو وافتخار انه يحارب نفوذ الشيوعية العالمية في بلاده !

وما ان يتردد تصريح الملك حسين هذا في انحاء العالم حتى يرتفع صوت المستر دالاس وزير خارجية اميركا ليقول لاعضاء الكونغرس في لهجة المنتصر : ألم اقل لكم ان الشيوعية العالمية تمتد الى بعض بلدان الشرق الاوسط ؟! ألم اطلب منكم الموافقة على زيادة المعونة الخارجية حتى نواجه نفوذ السوفييت في هذه المنطقة ؟.

والعرب في كل مكان حائرون بين هذه الاسباب المتناقضة التي تبرر تصرفات ملك الاردن ..

ان احمد طلعت مراسل « كل شيء » الخاص في القاهرة يكشف الستار عن اخطر حقائق الازمة الاردنية ويذيع اسرارها التي ظلت حتى الان محجوبة عن انظار الرأي العام العربي ..

العالم العربي كله يتحدث اليوم عن الشاب القصير ذي الرأس المستدير والحواجب السوداء الكثيفة ، والشاب الذي يشبه نجوم السينما في اميركا ، الشاب الذي سلطت عليه الاضواء عدة مرات ، كان في كل واحدة منها يبدو في صورة جديدة ..

مرة يراه الناس فارسا عربيا يعصف بغلوب ، ذنب الانكليز وصنيعة الاستعمار في الاردن ، ومرة يظهر في صورة المستهتر الذي يسلم امر الحكم في بلاده الى ارهابي مثل هزاع المجالي!

مرة مع القومية العربية ، ومرة مع حلف بغداد ، مرة يستنجد بالجيش العراقي ، واخرى يستدعي الجيش السوري ..

وحار الناس في فهم حسين ، ملك الاردن الشاب الذي وقع البيان الرسمي لاجتماعات الاقطاب الاربعة في القاهرة، ثم عاد الى بلاده ليعصف بالحكم الوطني فيه تحت حماية مدافع الاسطول السادس الاميركي !

وازمة الاردن هذه تعود في بدايتها الى تاريخ قديم عندما اجتمع في القاهرة، الملك سعود ، والرئيس شكري القوتلي، والرئيس جمال عبد الناصر ، في ٦ مارس « اذار » سنة ١٩٥٦ لبحث القضايا العربية ..

تم هذا الاجتماع بعد ايام معدودة من معجزة طرد غلوب باشا من الاردن ، وكان الاقطاب الثلاثة يظنون يومها ان الاردن قد بدأ اولى خطواته في طريق التحرر ، وان طرد غلوب لابد وان يتبعه الغاء المعاهدة الاردنية البريطانية واحلال المعونة العربية مكان المعونة البريطانية ..

دعوة الى حسين

وتحقيقا لهذا الظن طار السيد سعيد الغزي ، رئيس الوزارة السورية في ذلك الحين ، الى عمان وسلم الملك حسين رسالة من الاقطاب الثلاثة المجتمعين في القاهرة ، جددوا فيها ما اعربوا عنه قبلا من رغبة في اجتماع رباعي مع الملك حسين في عمان ، او في احدى العواصم الثلاث الاخرى ، للتشاور في القضايا العربية ، وفيما يتخذ من خطوات في سبيل الترابط المتين ، والتفاهم التام، بين الدول العربية واكدوا استعدادهم التام الاكيد لمعاونة الاردن والوقوف بجانبها !

ثم حمل لجلالته ، اللواء محمد ابراهيم سيف الدين ، سفير مصر في عمان في ذلك الحين ، رسالة اخرى جاء فيها « تقديرا منا لمقتضيات المصلحة العربية العليا والتحرر واحكام الدفاع ضد اسرائيل والخطر الصهيوني وتأكيدا لجميع ما سبق من مذكرات تؤكد المملكة العربية السعودية وسوريا ومصر تقديم معونة للاردن ، تحل محل المعونة البريطانية للجيش الاردني والحرس الوطني في حالة قطع المعونة البريطانية او التخلي عنها وتضمن (الدول الثلاث) استمرار تقديم هذه المعونة للمملكة الاردنية الهاشمية لمدة لاتقل عن عشر سنوات ، وتبدي في الوقت ذاته استعدادها لتنسيق التعاون العسكري مع المملكة الاردنية الهاشمية، وتعتبر ان كل اعتداء على الاردن اعتداء واقع عليها ، وان خط الهدنة لجميع الدول العربية خط دفاع واحد !

الملك حسين مع الاقطاب العرب الثلاثة .. عندما كان متحررا !

ماذا قال الملك ؟

ورد الملك حسين .. رد الملك الذي طرد غلوب منذ ايام بانه يرفض :

اولا : حضور الاجتماع الرباعي

ثانيا : قبول المعونة العربية

وهذه هي فقرات من نص خطابه الذي رد به على الاقطاب الثلاثة والذي اذاعه الديوان الملكي الاردني في ٢٩ اذار سنة ١٩٥٦

يقول الملك حسين :

« ان اتخاذ موقف جديد كالذي تفضلتم باقتراحه مقتصرا علينا نحن الاربعة فقط لايتفق في اعتقادي الجازم مع الاهداف السامية التي لا اشك في اننا نتوخاها جميعا .. »

وقال الملك حسين في هذا الخطاب الذي حمله الى الاقطاب الثلاثة في القاهرة السيد بهجت التلهوني رئيس ديوان الملك الاردني ، ان المساعدة التي يحصل الاردن عليها هي جزء من الالتزامات المعنوية على الجانب البريطاني وفق احكام المعاهدة المبرمة بين البلدين، وللاردن الحق في مطالبة الجانب البريطاني بالوفاء دائما بهذا الالتزام ما دامت المعاهدة قائمة بين الجانبين ..

انكلترا تقطع المعونة

ولم تمض ثمانية اشهر على رد الملك حسين هذا ، الرد الذي رفض فيه حضور المؤتمر الرباعي والمعونة العربية، لم تمض ثمانية اشهر حتى اذاعت وكالة انباء « الاسوشيتدبرس » برقية لمراسلها في عمان بعنوان : « تأخر بريطانيا في دفع المعونة للاردن » ، جاء فيها بالحرف الواحد : « اعلنت الاردن بالامس ان الحكومة البريطانية متأخرة في دفع المعونة المتفق عليها في معاهدة التحالف بين البلدين ، وقد صرح بالامس متحدث باسم الحكومة في عمان بما يأتي : « يبدو ان الحكومة البريطانية قد قررت ايقاف دفع المعونة المخصصة لتمويل المشروعات والتوسع الاقتصادي في الاردن » .

واضاف المتحدث ان كثيرا من الكتب المرسلة للحكومة البريطانية للتذكرة ظلت دون اى جواب ..

وهي بين المليونين وربع مليون من الجنيهات الاسترلينية التي خصصتها الحكومة الانكليزية لمكتب التوسع الاردني للسنة المالية ١٩٥٦ - ١٩٥٧ لم يدفع سوى مبلغ ٨٧٠،٠٠٠ جنيه استرليني ، بينما كان يجب ان يكون المبلغ كله مدفوعا في ديسمبر طبقا للاجراءات المعتادة » .

ويصرح مصدر مسؤول بان تأخر الحكومة البريطانية في دفع المعونة مما يهدد ، الى حد بعيد ، برنامج التوسع الاردني ، وكان هذا التأخر موضع بحث في اجتماع عاجل عقد بالامس في مكتب التوسع الاقتصادي برئاسة سليمان النابلسي رئيس الوزراء ،وفي اثناء هذا الاجتماع طلب الى ممثل السفارة البريطانية الاتصال بحكومته بشأن هذا التأخير ..

والبرقية اذيعت يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٩٥٦

ولم يكن لهذه البرقية سوى تفسير واحد هو ان الحكومة البريطانية هي التي رفضت الاستمرار في تقديم المعونة التي وصفها الملك حسين بانها احدى الالتزامات المعنوية على الجانب البريطاني !

الحل السعيد

وبحث الملك حسين عن حل لمواجهة الازمة المالية التي ستحل ببلاده بعد توقف بريطانيا عن الدفع ، فاعلن على الفور انه يقبل المعونة العربية ، وان وفدا اردنيا سوف يزور دمشق والرياض والقاهرة لاجراء مباحثات لهذا الغرض ..

لم يكن قبول المعونة العربية اذن صادرا عن رغبة فيها ، وانما عن اضطرار اليها ..

ولم تكن وطنية الملك حسين هي التي جعلته يفضل التعاون مع الدول العربية المتحررة ، ولكنه اقدم على ذلك ليستطيع مواجهة الكارثة التي كانت تواجه اقتصاد الاردن ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان جلالته كان ينوي شراء عشر سيارات كاديلاك

ينوى شراء عشر سيارات كاديـــلاك جديدة ، وكان لابد من تدبير المبلـغ اللازم لها !..

وانتهت المفاوضات فى القاهـرة ، ووافقت الدول الثلاث على تقديم المعونة من حيث المبدأ .. وبدأت الاتصالات لتحديد موعد التوقيع ..

واستطيع اليوم ان اؤكد ان الملك حسين قد طلب ان يتم التوقيع قبـل شهر مارس « اذار » سنة ١٩٥٧ وهو الموعد الذى ينتهى فيه البرلمان الاردني من مناقشة الميزانية ..

واستطيع ان نؤكد ايضا ان هذا هو السبب الذى جعل الملك سعود يمـر بالقاهرة وهو في طريقه لزيارة الولايات المتحدة والبقاء فيها لمدة يوم واحد تم فيه توقيع الاتفاقية والاتفاق على ان تتم الاجتماعات الرباعية بعد عودة جلالته من اميركا ..

حقيقة الازمة

بقيت حقيقة واحدة تعتبر السبـب الحقيقى لازمة الاردن .. اننى اذيـع هذه الحقيقة اليوم لاول مرة بعد ان بقيت سرا دبلوماسيا لايعرفه سـوى المشتركين في توقيع اتفاقية المعونـة العربية للاردن .

لقد سلم سليمان النابلسي رئيـس وزراء الاردن فى ذلك الحين الى وفود الدول الثلاث بيانات توضح مقـدار المعونة البريطانية للاردن وكيفية استلامه لها ..

وتبين من هذه المعلومات ان انكلترا لم تكن تدفع نقدا من هذه المعونة التى تبلغ فى جملتها ١٥ مليون جنيـه استرليني ، سوى خمسة ملايين ونصف وتقدم بالمبلغ الباقي سلعا واسلحـة صغيرة للاردن ..

ولم يكن الملك حسين يملك - بعد ان فوجىء بان النابلسى قد سلم هذه البيانات - سوى ان يوقع الاتفاقيـة ويكتم غيظه وخيبة امله ..

فقد كان الملك حسين يامل فى ان ياخذ المعونة كلها نقدا ، مما يسمـح بزيادة مخصصات القصر الملكي الاردني، وبالتالى شراء السيارات الكاديـلاك العشر الجديدة ..

وعاد الملك حسين الى الاردن ، وكان النابلسي في انتظاره بالمطار ، ويستطيع كل من كانوا في مطار عمان فى ذلك اليوم ان يصفوا الثورة الجارفة التر قابل بها الملك حسين رئيس وزرائه ..

التعاون مع روسيا

وايقن سليمان النابلسي انه خارج حتما من الوزارة ، فقرر ان يصنـع شيئا .. شيئا يورط به الملك حسين ويدعم به وزارته ، فجمع مجلس الوزراء وقرر انشاء علاقات دبلوماسية مـع الاتحاد السوفياتي ، وبعث مجلـس الوزراء الاردنى بمذكرة الى الملك حسين جاء فيها ان سياسة الحياد الايجابى التى وافق عليها الملك حسين فـى اجتماعات القاهرة بان يتبادل الاردن التمثيل السياسي مع روسيا ما دام يتبادله مع اميركا !.

وجاء فى المذكرة ايضا انه ثبت ان الاتحاد السوفياتي وقف دائما الى جانب العرب فى جميع قضاياهم السياسيـة وحل لهم مشاكلهم الاقتصادية فليس هناك ما يمنع من توثيق صلات الاردن به ..

عضلات الاسطول السادس

وما ان علم سفير اميركا فى عمان بقرار مجلس الوزراء هذا حتى ذهـب لمقابلة الملك حسين .. تلك المقابلـة التي تبعتها على الفور اقالة وزارة النابلسي وتحريك عضلات الاسطول الاميركـي السادس فى البحر المتوسط وحملات راديو عمان على الدول العربية المتحررة .. والشيوعية العالمية .. وكل ما هو ليس اميركيا ..

بقي سر آخر لا اود ان يفوتني في هذا المقال هو ان السيارات الكاديلاك العشر قد وصلت هدية الى ملـك الاردن !

واليوم يتساءل العرب في كل مكان : هل ينضم الاردن الى حلف بغداد ؟

وهل ينجح الاسطول الاميركـي السادس في ان يحقق لسمير الرفاعي ما لم يستطع هزاع المجالي ان يحققه ؟

ان سمير الرفاعي نفسه قد اعلن ان حكومة الاردن لن تدخل حلف بغداد رغم ارادة شعب الاردن .. ورغم عضلات الاسطول السادس ..

احمد طلعت